« أقاصيص »

حدود الاستطاعة

قاسم مسعد عليوة

الغلاف والرسوم الداخلية للفنان : عباس الطرابيلى

حدود الاستطاعة



الاهداء :

الى بورسعيد ....

الناس والموقع والتاريخ .

قاسم مسعد عليوة

حدود الاستطاعة
الطبعة الاولى

أنظر اليهم بحذر ،
ولا تعد عيناك عنهم .
إنهم يتربصون بك ،
فكن يهم من المتربصين .





أشيــــاء

..عادة
..اشياء
..حرمان
..ألفة
..هروب

كانت المائدة طويلة .. طويلة جدا .. وكانت المقاعد كثيرة .. كثيرة جدا .. وكانوا يزحمون المكان .. يزحمونه ويلغطون .. وكن يتبادلن نظرات الحسد ويثرثرن .. وكانت الديوك على المائدة .. وكانت هناك أوان للزينة ، وزهور .. وكان الخدم يأتون ويذهبون .. ثيابهم نظيفة وقاماتهم منتصبة ويبتسمون .. وكانت هناك موسيقى تأتى من مكان ما ، وحينما جهز الخدم كل شىء وتعين عليهم أن ينصرفوا .. انصرفوا .. ومن خلف الباب تزاحموا وأخذوا ينظرون .. ينظرون .



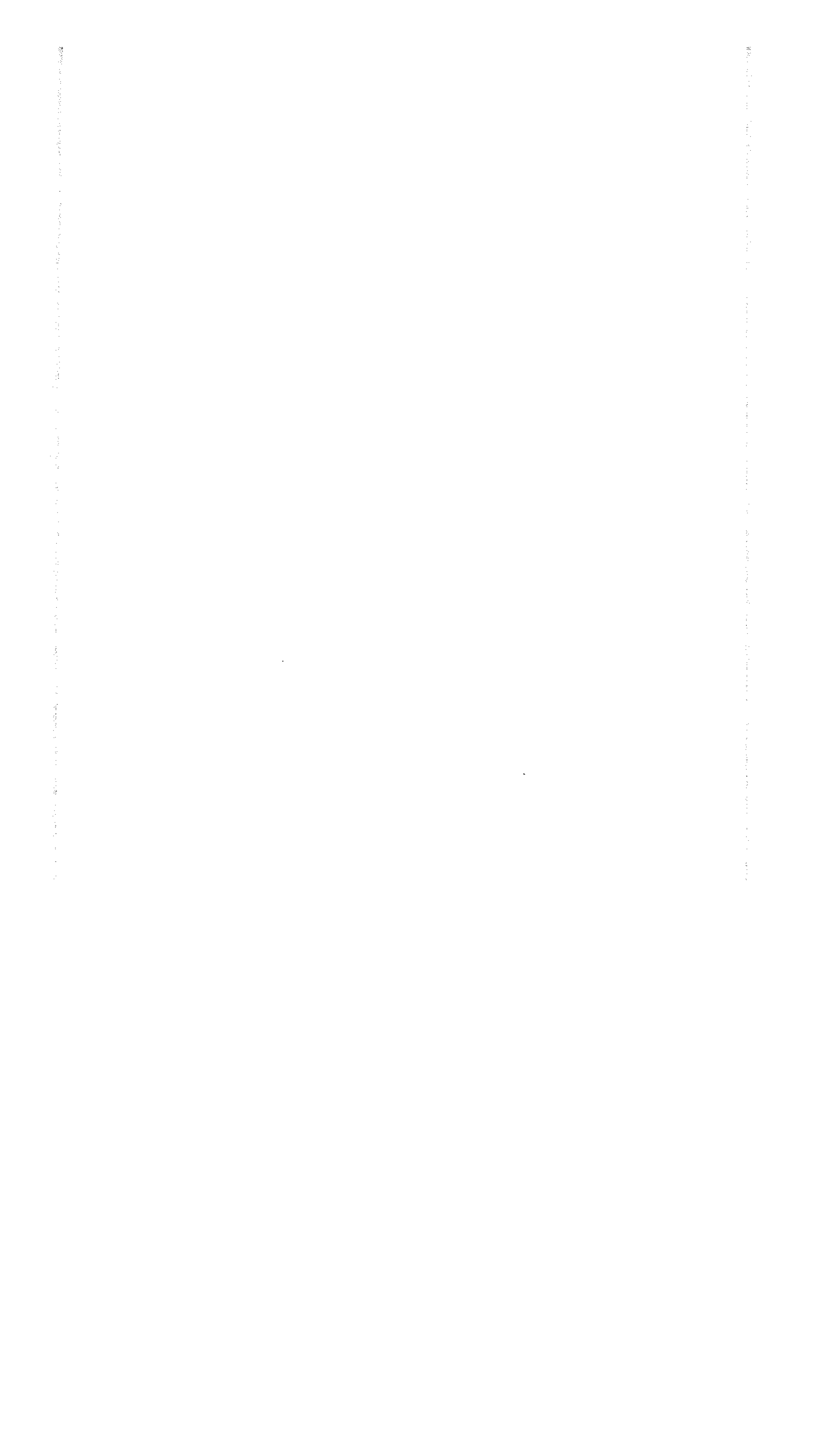
هذه الأشياء أشيائى ..أنا أحب أشيائى .. إمباركة أيضا أحبتها .. تُعطر الحمام وتمشط شعرى وتتفانى فى العناية بما أملك من أشياء ..كل ما أملك من أشياء .. قبل وأثناء وبعد أن تمسك بأدواتها وتنهمك فيها تنفيضا وتنظيفا وترتيبا ، تحنو عليها بنظراتها وأحيانا تناغيها .. وكنتُ أرى أن أشيائى قد اعتادتها وألفتها .. أحببت هذا فيها .. كنت قد ألفته .. وتمنيتُ لو خلدتُ هذا فى صورة أحتفظ بها بين أندر أشيائى .. إلا أن ذلك الرجل جاءها بأشياء قال أنها أشياؤها ، فتركتنى وانصرفت معه .



تعودت الجلوس على حافة الفراش .. لذا فهى دائما تجلس على حافة الفراش .. تغرس مرفقيها بين فخذيها وتسند رأسها على راحتيها وتُسهم فى اللاشىء .. قد تتأمل تشكيلات البق فى الأركان .. قد تنشغل بعد فضلات الذباب على الشريط الذى يؤطر صورة الزفاف .. قد تحملق فى الخلاء الذى يسد اتساع النافذة ، وقد تتثاءب .. إلا أنها سرعان ما تعود فى كل مرة إلى لاشيئها المشدودة اليه .. وعندما تسمع صلصلة سلسلة المفاتيح فى الخارج تميل برأسها تجاه الباب .. قد تنظر إلى الساقين اللتين تستديران من فورهما فى اتجاه الباب ، وقد لاتنظر ، إلا أنها تتسمع دائما إلى صوت المزلاج إذ يُقفل من الداخل .. وإذ يتداخل ظله بهذا اللاشىء ، ويصبح هو أولا واللاشىء ثانيا ، ترفع رأسها اليه فيلقى إليها بلفافة فيها طعام .. تأخذ فى علكه ثم تتمدد فى الفراش فينزلق إلى جوارها ولايهتم بسحب الغطاء أو اقفال النافذة ولاتهتم هى ايضا .

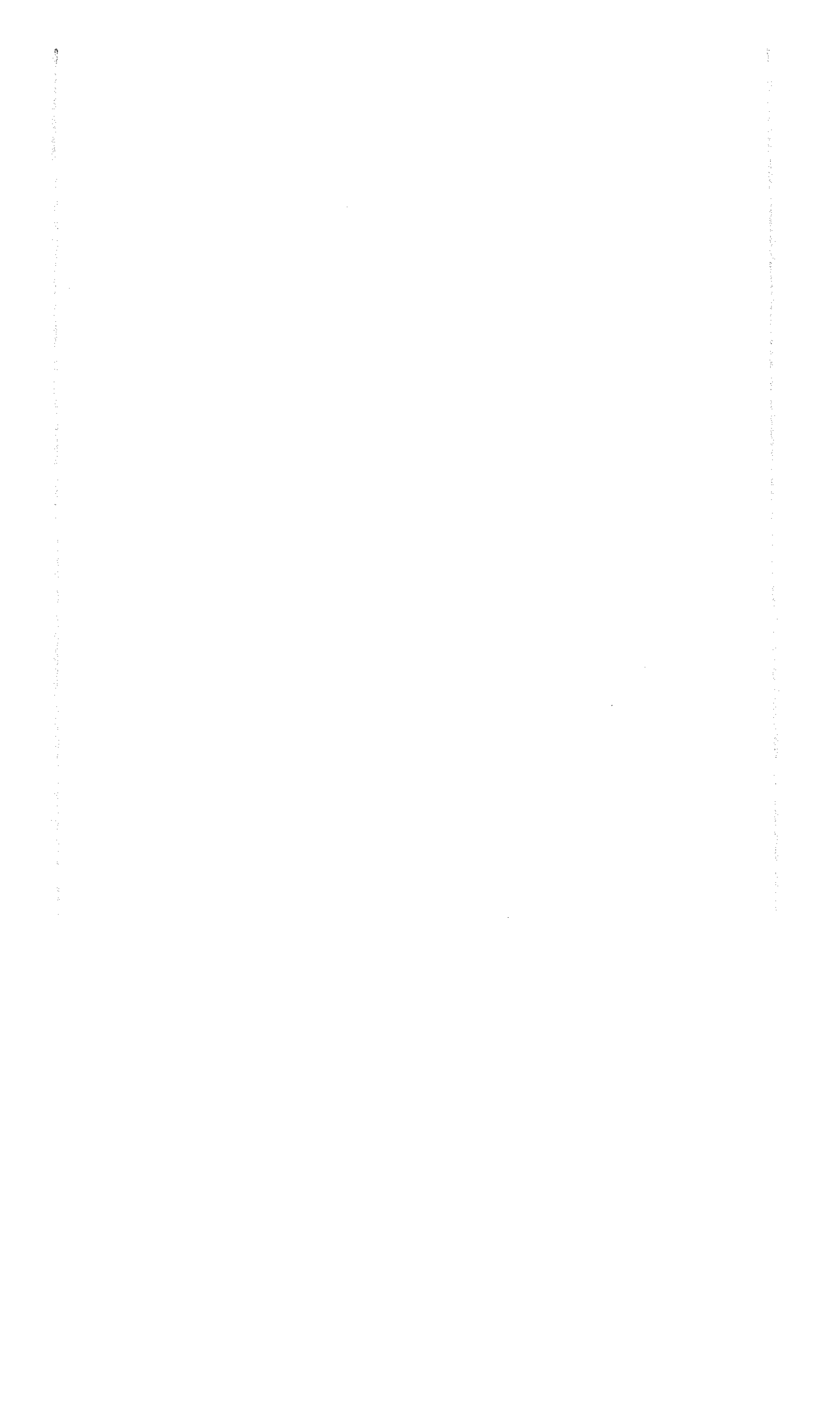


حزامه الجلدى المبقع بالزيت معلقُ فى المشجب على وضعه ما يزال .. وطرف بيجامته القديمة يطل من بين ضلفتى الدولاب .. وعلبة سجائره التى نساها ترقد إلى جوار المطفأة .. وحذاؤه المثقوب علاه العفار .. قالت تركنى وأخذ تحويشة العمر وذهب إلى بلاد ليس فيها غير الرمل والجاز .. سيأتينا بسيارة وفيديو وأشياء لم نسمع عنها ونقود .. ومست كتفها العارى .. لكنه سيمعن فى الغياب .. ثم عرت بطنها وتحسست خاصرتها وتقلبت فى الفراش .

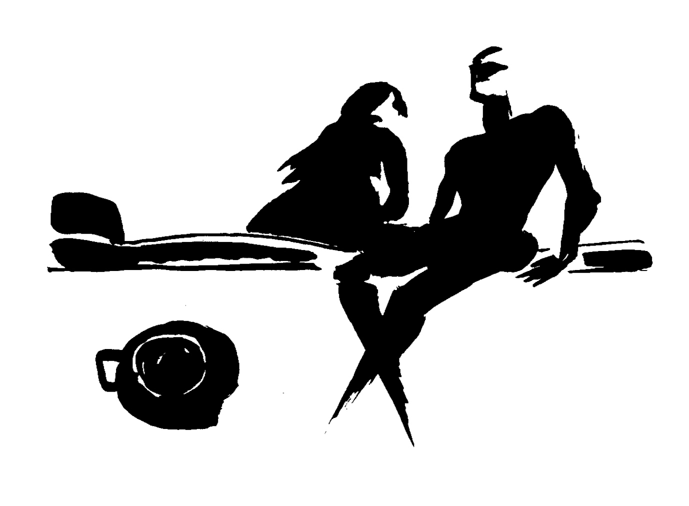


باتجاهى دائما كان يتكوم . على الإفريز ، بين أرجل المناضد والمقاعد والجالسين . شارد الذهن ، خامد النفس ، لاينطق بشىء . ملامحه جدار أملس ، لافرح ، لاحزن ، لاشىء ، أى شىء .

تتساقط من حوله البصقات وأعقاب السجائر وأعواد الثقاب المطفأة فلا يشعر بها . فقط كان يتكوم وينظر باتجاهى . وكنت أعطيه قرشا فيأخذه ، وأعطيه ثمالة الشاى فيمتصها ، وأعطيه رشفة ماء فيجرعها ، وأعطيه مبسم النرجيلة فيلتقمه . وكنت أحس بألفة من نوع ما تربطنى به . لكن حينما كان الجرسون يأتى ويحمله بين يديه ويلقيه بعيدا ، لم أكن أفعل أى شىء .



نظرتُ إلى البحر ، والغيمات ، وتتبعتُ القمر .. استدعيتُ صورتها إذ تُزف إلى مالك نصف دور الحى ثم أخرجتُ نايى ورحتُ أنفخ فيه ، وأذوب .. أذوب .. أذو .. أذ ..



طقس ليلي

..طقس ليلى
..فى المساء
..ليلة
..نهيرات الماء

ها هو الليل قد أقبل ، وها هى تجلس فوق السرير . نام الأولاد ، وانصرفت الدادة إلى غرفتها ، فاعتدلت وغرزت القرص الموضعى وأدارت الفيديو واستندت بظهرها إلى الحشية ولم تتابع .

عما قليل سيأتى فتتمدد . سيعريها ويقبض عليها .بكلتى يديه سيقبض يجوس ويضغط ويغرس أنيابه ويعض . يقلبها ويرفعها ويلقيها . يفردها ويحرثها بشفتيه وأنيابه ، يعرق ويئن ويعوى ويتشبث بالشعر ويصهر الرأس بين الساعد والزند . يرطم الأسنان بالأسنان ، ويلتقم الشفتين ، وينحدر للنحر فيعض ويخرج لسانه المنهوم ويأخذ فى لعق الأوردة المضطربة . ينهمر لعابه على الحقوين والثديين . يمتص الحلمتين ، وهالتيهما ، ويهبط إلى البطن . يعتصرها ويضغط . يخور فيلتصق مسرعا متلهفا ويسحق ضلوعها بقوة فتطقطق تحت ذراعيه وتئن .

وحين يأتيه الهمود ينسحب بجرمه الضخم ، ويميل ناحية الحافة ، ويمد ذراعا مرتخية ،يؤرجحها فتدخل إلى أسفل السرير وتخرج بوعاء قضاء الحاجة .

ولأنه بهذه الحركة الأخيرة يكون قد أنهى مهمته ، فإنه يجلس مُعَرَّقا لاهثا ، معطيا ظهره إياها ، ومتشاغلا بتغيير شريط الفيديو ، فهو يعرف — دون أن يرقبها — أن الرَّجة التى تهز السرير من تحته تعنى أنها قد انقلبت على بطنها ، وأن انسحاب الملاءة يدل على أنها تزحف بصدرها ، وأنها تُدلى الان رأسها المحاط بشعرها المهوش باتجاه الوعاء ، وما هى إلا لحظة وتبدأ فى التقيؤ .

في المساء .. كل مساء .. كان يضرب المرأة .. المنضدة .. يُلقى بالمقعد .. بالحذاء .. بأى شىء .. وكان يعصر نفسه فى الفراش .. يعصرها ويصرخ « لماذا أنا وضيع وحقير يا ربى ؟ .. لماذا أنا عدو للناس ؟ » .. وفى الصباح يهندم نفسه أمام كسر المرآة ويعطر نفسه فى المواضع التى اعتادها عِلية القوم ثم يشد من قامته ويهبط إلى الساحة ويبتسم

وفى المساء كان يضرب المرأة .. المنضدة .. يُلقى بالمقعد .. بالحذاء .. بأى شىء .. وكان يعصر نفسه فى الفراش ويصرخ « لماذا أنا وضيع وحقير يا ربى ؟ .. لماذا أنا عدو للناس ؟ ».

كانت الريحُ تلطم النوافذ والأشجار وتدفع بالقاذورات إلى زجاج العربات ومداخل البيوت ، فاقتحمتُ ذلك المكان وقلت « أمضى ليلتى وفى الصباح أغادرهم وأغادر مدينتهم .. كانت معى النقود التى يحبونها ، وكنتُ متعبا من جولات العمل التى أخرتنى ، لكنهم أكدوا لى بأنه الموسم وأنه لايوجد شبر واحد يصلح ..

تسمعت ضحكاتهم وأجلتُ ناظرى فى الجالسين والواقفين والمتلاصقين فى الأركان وقلت « هذه ليلة طيبة » ، ولكننى فشلت فى رفع جفونى .. سألت الساق عن مكان يصلح للمبيت فأتى بالاشارة الخالدة « النقود » .. ثم فحصها وأشار إلى ركن تزحمه زمرة من الفتيات « إن كنت على استعداد لأن تبيت فى الجحيم فهاك الزبانية » .

وقفت بينهن أتثاءب و لم تكن بى القدرة على الوقوف .. من بين فرجتى الجفون المثقلة اقتحمتنى الأثداء المكتنزة

والمدورة .. حمراء وبيضاء وسمراء .. قلتُ فيما يشبه النوم « هذا علم الأمة » ثم ابتسمت وأخرجت حافظتى تجاه إحداهن فتلقفتنى واسندتنى وخرجت بى لتلطمنى القاذورات وتندفع إلى أنفى وحلقى .. استنجدتُ بعربة سارت بنا شوارع لاأعرف مداها .. وحينما أعطت رفيقتى الاشارة ، وتعين علينا أن نهبط ، كان المطر ينهمر بشدة فالتففنا بمعطفها وخضنا فى الطين ومجارى المياه الآسنة .. وعندما أوقفتنى عند تلك النقطة ورأيتُ المطر والخلاء ، توجستُ واهتزت ركبتاى وهجستُ « هى سفاحة أو سارقة جيوب » ، وقبل أن أتدبر أمرى رأيتها تميل يمينا تجاه ذلك المكعب الكرتونى المبتل وتصرخ « أشيائى .. أشيائى » وانتزعت نفسها من تحت المعطف وهرولت إلى داخله فهرولت معها .. كان هناك سرير وملاءة ودولاب وأشياء تسبح فى الماء .. لطمتنى وقالت « ابعد .. ابعد » ..وأخذت تسب وتلعن وتشد شعرها المبتل وتركلنى « أبعد .. أبعد .. أبعد » .

ها هن يتدفقن من الطرق الجانبية ، ويندفعن من الأفنية المظلمة ، وينحدرن مثل نهيرات الماء على الأسطح المائلة ، ويمشين بامتداد الطوار وداخل المساحات المخصصة لعبور المشاة ، ويتبخترن بأردافهن وحقائبهن متعددة الطُرُز ، مستمتعات بتأرجح أثدائهن وتكسر أضواء الصوديوم والنيون على العربات والمارة وأخاديد البلاطات الملونة .

صحيحٌ أن نظراتهن جامدة لاتبين فيها تـلك العلامات التى تدل على الإنتشاء .. وصحيحٌ أن حالة من السأم تبدو مسيطرة على حركات أذرعهن إذ يتوقفن أمام واجهات المحلات ويشرن تجاه المانيكانات أو يسوين ما نفر من خصلات الشعر المفرود لتوه بالأمشاط الساخنة ، أو يمُررن — بدرية واضحةٍ — وهن ماشيات اسفنج البودرة على مواضع الدَكنةِ أسفل أعينهن ، وينظرن فى المرايا الصغيرة التى سرعان ما يدسسنها فى حمالات الصدور أو داخل الحقائب المتأرجحة ..

صحيح كل هذا ، وصحيح أيضا أنهن لايظهرن أى اهتمام بأطراف ملابسهن الداخلية المدلاة أسفل الفساتين والجوبات القصيرة .. لكن خطوهن البطىء يشى بما يتمتعن به من حيويةٍ وقدرةٍ على المراوغة ..إنهن واثقات تماما .. يعرفن ما يتمتعن به ، كما يعرفن أن هذا هو الشارع الذى يستريح فيه رجال الأعمال من مشاق أعمالهم ، وأن هؤلاء الذين يحتلون النواصى هم أمهر الشحاذين وأكثرهم كياسة .. وأيضا — وهذا ما يزيد ثقتهن — يعرفن أنهن قد خبرن الحياة تماما .. خبرنها لدرجة بات معها الإشفاق على الأشياء والأشخاص ترفاً يستكثرنه حتى على أنفسهن .. يعرفن هذا ، كما يعرفن أنه بين أدوات المكياج وقطع النقود الصغيرة ، عديمة القيمة ، تتأرجح قصاصات العناوين ..دائما فى حقائبهن قُصاصات بالعناوين .. قد يسألن شحاذاً أو بوابا أو بائعة فل ، وقد لايسألن ، إلا أنهن دائما يمشين بخطوهن الواثق وينحدرن إلى الطرق الجانبية ويتسربن عبر فتحات الجُدر.. قد تخيفهن ظلمات الأفنية ، لكنهن لايتراجعن أبداً فنهيرات الماء على الأسطح المائلة لاتعود إلى الوراء .



يوم الثعالب

..القطة والعصافير
..محاولة
..فى الشارع باتجاه الكازينو
..يوم الثعالب
..كلب

طافت بعينيها فوق الخضرة التى تكسو السور ثم دفعت الباب فانفتح فى هدوء . نظرت إلى الفسقية وتمثال الغلام الذى يبول فيها وارتسم على شفتيها طيف ابتسامة . مشت بين حرس من تماثيل كيوبيد المجنحة وصعدت الدرجات الرخامية . عشر . لماذا عشر بالذات وليس أقل أو أكثر ؟ .

نَحّت عن ذهنها هذه السخافات وتأهبت لعملها المقبل ، فهذا الغر أفهمها غرضه بوضوح . أهله فى الخارج والخدم سيصرفهم ويريد أن يتعلم فنون الحب . وعندما قال عصرا وأعطاها العربون الذى أسال لعابها ، لعقت شفتيها بابتذال ففهم أنها قد فهمته .

بين الأعمدة السمراء النحيلة ذوات التيجان أخرجت مرآتها وأصلحت من ظلال عينيها .. ستكشف له عن مكامن رجولته وتعلمه بعض الأفانين ، ومثلما تلعب القطة بالعصفور ستلعب به . قرصت خديها ودست المرآة فى حقيبتها .. لن

تخرج من هذا القصر بغير أن تزحم هذه الحقيبة بكل ما تشتهيه .

أسقطت وشاحها الحريرى عن كتفيها ورسمت ابتسامة مائعة وضغطت زر الباب كثير النقوش فانفتح وأطل رأس الصبى . مستدير وحليق وشاربه نائم فوق شفتين بدتا كمنقار عصفور.ابتسم متوترا فبدأت عملها بسرعة وربتت على خديه بدلال ودخلت .

خطوات ثلاث فقط وتسمرت . لم تصدق عينيها . مسحتهما بظاهر كفيها وتفرست . إلا أن الرؤوس المستديرة الحليقة والشوارب الخضراء النائمة فوق شفاه تشبه مناقير العصافير ظلت فى صفوفها الخمسة كما هى . خمنت ..ثلاثون ؟ .. ربما .. ربما خمسة وثلاثون .. وربما أكثر .. متوترون .. متأنقون .. أرديتهم المدرسية نظيفة وحقائبهم إلى جوار أقدامهم وجواربهم ليست جميعها مهدلة .

هجست : ربما كانت نكتة . ابتسمت بتردد وهمت بأن تحيل الأمر كله إلى مجرد نكتة ، لكن الشبق الذى نز من أعينهم وأمتد ليحيط بها أفزعها . أستدارت إلى الباب بسرعة لكنهم كانوا الأسرع فتحلقوها لتنكمش فى الوسط تماما وتتقوس .

يخيفها سقوط الشمس كل يوم خلف بيوتات المدينة . وترعبها الأشباح التى يطلقها الليل فى كل ركن وزاوية . وتقشعر من نباح الكلاب ومواء القطط ورفرفة أجنحة الخفافيش . حاولت أن تقاوم خوفها فتركت نور غرفتها مضاء طوال الليل . فى الصباح الباكر رأت جارهم الكهل يتهامس مع أبيها فى الأنتريه . وقبل أن تخرج أوقفتها أمها عند الباب « اطفئى النور وأغلقى النوافذ قبل أن تنامى » . وفى الطريق رأت أبناء الجيران يتراصون فى انتظارها على غير ما تعودت . ما أن مرت من أمامهم حتى تقاطروا خلفها . تذكرت ما فعله قطار الكلاب بالأمس مع الكلبة الهزيلة فارتعبت بالرغم من أن الشمس كانت قد أشرقت لتوها .



كان عليها بعد أن أسلمت عربتها لسائس الموقف أن تسير تحت مصابيح الفلورسنت باتجاه الكازينو حيث ستلتقى بفتاها .

ابتسمت لها بائعة فل« أشترى منى عقد فل » . « هذه الوردة المحاطة بالفل تليق بالتايير » .« خذى وردة حمراء أو خذى قرنفلة » . « ربما تفضلين عقد ياسمين » . « الياسمين زهر المحبين » . « الفل يا فل » . « الياسمين يا ياسمين » . وكان يكفى أن تلمس البنت كمها فتتجمد . أفاقت فنزعت كمها بعنف وقربته من عينيها لترى مدى اتساخه . انثنت بعدها وراغت باتجاه الكازينو . بقفزة واحدة جاورتها البنت . صعدت معها الرصيف ومشت معها كتفا لكتف « اشترى أو أدفعى أجرة ملاحقتى لك » . محنقة توقفت ونظرت إلى الكف الممدودة والوجه الملفوف بالطرحة ، ثم جمعت بصقة قذفتها على بلاط الرصيف بين البالوعة وصندل البنت . « بريزة تعويض

معقول » . « من أول الشارع وأنا معك » . « أضعت علىّ أكثر من زبون » . « قطعت أنفاسى » . وعاودت لمس كمها ففردت ذراعها البعيدة وبكامل امتدادها صفعتها بحقيبة يدها الفضية .

طقت عيون البنت بالشرر فخافت هى وانكمشت وتلفتت حواليها مذعورة . ورأت دَرَج الكازينو فتراجعت بظهرها قليلا ثم دارت وتقافزت فوقه . سبقتها البائعة وواجهتها من أعلى . انسدلت الطرحة عن شعرها فبدا منفوشا وزنجياً . كومت البنت شفتيها وبصقتها مرة واحدة . « يا بنت الكلب » فتسمرت .

وفى المسافة بين صدرها وصدر البنت رأت أباها يرجع بكرسيه للوراء ويطحن بأسنانه عظام الضأن فيما أحاطت نتف اللحم بشدقيه وألتصقت بطرف أنفه . وفى الصباح زام ملاحظ العمال بذات العبارة وهو يخرج مهتاجاً من مكتب أبيها وأول أمس كورها ابن المقاول المنافس الذى أعلن افلاسه وألقاها فى وجهها . قبلها كررها الطالب الذى أفهمته أنه ليس من مستواها . ورأت أباها يرفع ساقا ويتبول على حائط العمارة التى يبنيها . وتدوم فى أذنيها شخيره وهو يتشمم أمها . حتى

الدادة لاتفتأ تكرر لها بأن شبهاً كبيرا يجمع بينها وبين كلبتها اللولو .

ارتفعت عقود الفل والياسمين إلى كتفى البائعة واندست الورود والزهور فى فتحة صدرها وتقوست أصابعها فثابت الى رشدها وأخذت تتراجع وتهبط الدرج سُلمة فسلمة . وفيما تصيح غريمتها تلك الصيحة المزلزلة ، وتنقذف فوقها تلك القفزة الهائلة ، وتسقطها فوق البالوعة التى بقبقت ، وتنشب أظلافها فى وجهها وتدس أعقاب السجائر المهروسة فى فمها تحشرج صوتها وزامت . وإذ تهم بالصراخ أخرجت بحنجرتها نباحاً يشبه نباح كلبتها اللولو ، وبدأت فى العض . وإزاء دهشة البائعة، التى أرخت يديها قليلاً ، انقذفت هى واعتدلت باتجاه الأسفلت . علقت حقيبتها فى رقبتها وراحت تعدو على أربع وتخطت سيارتها وسائس الموقف .



كنت قد التحقت بخدمتهم لتوى .. وكانت لديهم عربات وخيول وسياط وبنادق ، وكانت لرب الأسرة هوايات غريبة .
قال :
ــ هات هذه الاشياء وتعال معى .. اليوم يوم الثعالب .
وعبرت بنا اللاندلوفر المدن والحقول وأوقفتنا فى قلب الصحراء .. دس الخريطة فى حقيبته وقال :
ــ إن رأيت ثعلباً صوب تجاهه واضرب .
ويبدو أننى تلقفت البندقية بطريقة لم تعجبه فقد توقف ونظر إلى بتشكك ..
ــ على أية حال كن على مقربة منى لتحمل ما أصطاده .
نفذت ما أمر به .. إلا أن الكثبان والصبار وآجام الأعشاب الصحراوية حجبته عني .. وفيما أُحدق فى تلك الآثار وأُقلب فى ذهنى الفروق التى تميز آثار الثعالب عن آثار غيرها من

الحيوانات إذابى أسمعه يصرخ :

ـــ مسعود .. الحقنى يامسعود ..

فتجاوزت مجموعة من الكثبان ووثبت من فوق أجمة الأشواك لأراه يصارع ثعلبين التصقا به وانشبا أنيابهما وأظلافهما فى جسده .. ما أن رآنى حتى ابتدرنى :

ـــ الحقنى يامسعود .. انقذنى يامسعود .. ضعت يامسعود .. آه .. آآه .. آآآه ..

فاستجمعت كل قواى وهويت بمؤخرة البندقية على رأس أحد الثعلبين وأسقطته على الأرض وأمسكت الآخر من قفاه ودفعته للخلف فسقط على ظهره وقد التصقت بأنيابه ومخالبه مزق القماش الملوث بالدم .. وقبل أن يعتدلا هجمت عليهما بالسكين وأعملت فيهما الطعن حتى همدا . وما أن خيم علينا الهدوء وبدأت أنفاسنا تنتظم حتى قال :

ـــ ماذا فعلت ياغبى ؟

أجبت ببلاهة :

ـــ قتلتهما .

صرخ :

ـــ أعرف أنك قتلتهما .. لكنك قتلتهما بطريقة اتلفت فراءهما تماماً .

كل الحوارى والأزقة المتفرعة من حارتنا تعرف أنه كلب طيب . له عينان يحيط بهما السواد . إن نظرت إليهما خلتهما عينى شيخ هرم ، فهو يعرف كل ما يمكن أن يعرفه من يقضون حيواتهم فى الشوارع . وهو الوحيد من كلاب حينا الذى اعتاد التجوال فى شوارع الحى الافرنجى .، دون أن يجرؤ أحد على اعتراضه ، بالرغم من اتساخ قوادمه .

قد يمشى بخيلاء أمام كلبات اللولو المتبخترات بفرائهن الملون وأشرطتهم اللامعة وقد لايمشى ، فشأنه شأن العليمين ببواطن الأمور ، يمنعه علمه من اقتراف الأعمال غير اللائقة .

يعرف أنه يوجد فى مدينتنا رجال ذو كروش وخدود موردة ، ويضعون نظارات سوداء على عيونهم ، حتى فى الليل الغطيس . ويعرف أنهم يجمعون حولهم كلاباً ضخمة وقوية ، ويغيظه أن يرى أرتال الكلاب التى تلهث من ورائهم مبصبصة بأذنابها « إنهم يعرضون أنفسهم بأنفسهم فى أسواق النخاسة » ، هكذا يتمتم لنفسه زافراً أو مطلقا زومة احتجاج اذا ما تصادف ورآهم . وبعد أن عرف الحقيقة لم يحدث أنه يوما قد توقف أمام أبنية المطاعم والفنادق والمصحات

وهو يعرف أيضا ، حينما يجوب حوارى حينا ، لماذا ترمقه مئات العيون عندما يجد عظما يقضمه ، ويضايقه أن يجد نفسه مضطرا للاختباء حتى يأكل . ويدير رأسه بعنف عندما يرى عند المراكب أو الخرائب المهجورة صبية تمنح شبابها الغض من أجل شيء تتبلغ به ، أو عندما يرى كلبا يلقى بنفسه الى البحر أو تحت عجلات القطار المار بالمدينة ، أو يرمى بنفسه من فوق أحد الأسطح . فاذا حدث أمر كهذا كنا نراه يصعد الى قمة الفنار ويقعى على قائميه الخلفيين ويأخذ فى إصدار أصوات هى مزيج من النباح والعواء ولايهبط إلى الارض إلا بعد ليلة أو ليلتين .

لكنه عقب كل هبوط يسرع باجتياز الحدود منطلقا الى قلب الحى الإفرنجى ، وكنا نراه يقطع الأسفلت بذيل يجاهد أن يجعله منتصباً ، وينظر إلى كلاب، حينا الذاهلة خلف براميل القمامة ، ويهز رأسه حاثا إياهم على مجارته .
وصالونات التجميل المخصصة لأبناء جلدته من المحظوظين . صحيح أنه قد يستهويه مرأى كلبة أو كلبتين ممن تكون أيادى المصففين قد رتبت وشذبت فرائهن إلا أن السلاسل اللامعة التى تمتد بين أيدى صويحباتهن ورقابهن تجعله ينبذ فكرة الإتيان بأى عمل لايليق ومهابته .



اختزالات برجوازية

.. حيـــاة
.. حـــسم
.. معايشـة
.. عند الركن قوى الضوء
.. معاهـــرة

١ . حياة :

ولد .. تعلم .. تخرج .. جند .. حارب ..

مااات .

صرخت أمه : لماذا يموت ؟

نهنه رفيقه : لأنه ولد .

وتهشم الوسام بين الاقدام .

٢ . حسم :

رآها فى الشارع فأثارته رموشها الصناعية فضحك .. لطمته بحقيبة يدها فشعر أنه أهين .. أخرج مسدسه بتمهل وأنهى الموقف ..مات .

٣ . معايشة :

نظرة ، فابتسامة ، فلقاء ، فشقاق وفراق ، وتلاح بالقول ، وتضارب بالأيدى ، وفضح بالأسواق ، فما من شيء فى الاصل متاح .. هكذا كان يحكى الفيلم .. هكذا كان يعيشان .

٤ . عند الركن قوى الضوء :

فى المقهى ، وعند الركن قوى الضوء ، حيث يزدحم لاعبو الطاولة وهواة الفرجة على مباريات الجوكر ، يجلس دائماًوقد أمال عويناته ، متوجهاً النهر يحتسى الشاى ويقرأ فى كتب لاأغلفة لها .. وقد يحدث أن يمر النادل به فيجده غائم الملامح .. دامعا .

٥ . معاهــرة :

.. وإذ تلقى البساط الوبرى الأبيض الجسد المطروح ظَهراً وقد تهدلت عليه حمالة الصدر وانخلعت فردة الحذاء لتستقر فوق السرة ، وبدأت الرعشة تهز اللحم الفائر ، انحنت الرأس المحمومة فوق الوجه المزوق وامتدت الشفتان المتوترتان تلعقان ما بقى من أصباغ . عندئذ انسابت من العينين المغلقتين فى ألم دمعتان انسالتا على القرطين اللامعين وغابتا فى شعر الباروكة الأشقر .



سيدات وسادة

.. هــو
.. ثلاثـة
.. ســيدات وســادة
.. الشــريـط
.. عن البهجة والنضارة

دائما ما كان يردد : نحن .. نحن ..
وكان يشير إلى حيهم الراق ويقول : هم .. هم ..

وأحيانا كان يأخذه الحماس فيحتد ويصرخ بها من فوق المنصات .. من وراء الميكروفونات وبدون ميكروفونات .. فى الأزقة وفى الشوارع والمقاهى والساحات .

كان يزأر : نحن .. ونحن نحن ، ويصيح : وهم .. هم .. هم ..

وبعد ما تم فرز الصناديق هرولنا اليه لنهنئه لكنه كان مشغولاً بالهرولة اليهم ، هناك ، ليسمع بنفسه منهم كلمة مبروك .



كان دائم السفر ، وكان طيبا ودودا ، وكان قد بدأ يشعر بالتعب .. قال أتزوج وأنظر لنفسى وأستريح .

وكانت جميلة ، وكانت طيبة ، وكان الرجال يلاحقونها أينما حلت هى وزوجها ، وكانت ترى أنه لم يعد يشعر معها بالراحة .. وكانت تشفق عليه .. قال : أرسل بك لأخى فى المدينة وأسافر آخر سفرة أجمع فيها نقودى وأشيائى ثم آتيك وأستقر .

وكان الأخ ميسورا ، وكان يتاجر فى أشياء كثيرة ، وكان يرتدى الحرير والدانتيلا .. وكانت تلتصق بيده مسبحة .. عندما سمع بوجودها فى بيته قال : أهلا ، فى الحفظ والصون .. وعندما رآها هتف : « آه ياحياتى .. أنت التى أهوى .. بدونك أصبح بائسا مسكينا » .. وأوصد الباب واتجه نحوها .



السيد(أ) يكره السيد (د)لأنه متيم مثله بحب السيدة (هـ) ، والسيدة (هـ) أرملة ومعها فلوس كثيرة يديرها السيد (م) ، والسيد (م) يسعى للزواج من السيدة (هـ) لأنه لمس أهمية ان يمتلك الانسان فلوسا كثيرة . غير أن السيدة (هـ) شديدة الولع بالمطرب (ع) ، ولأن النساء ممن هن على شاكلة السيدة (هـ) مهووسات بالمطرب (ع) فقد اصطفى منهن سيدات ثلاث : (س) ، (ن) ، (ل) .
غير أن السيدة(هـ) تمكنت من إجتذاب المطرب (ع) وأقامت له بارتى وأهدت له سيارة ودعته للاقامة فى غرفة نومها . كظمت السيدات (س) ، (ن) ، (ل) ما يمور فى دواخلهن من غضب واحتفلن معه بنجاح آخر حفلاته . ضاحكنه ، وقرعن كؤسهن بكؤسه وسألنه عما يميز غرفة نوم السيدة (هـ) عن غرفهن ثم دسسن له السم .

أفاق كل من السيد (أ) والسيد (د) والسيد (م)

وقال كل منهم فى نفسه « أتحرك قبل ان يفوز بها أحد غيرى » . وكان يتعين عليهم قبل الوصول إلى أعتاب السيدة (هـ) أن يصدموا بحائط من الوصيفات . عندما اخترقوه كان السيد (أ) قد التقم الطعم المثبت بشص الوصيفة (ص) فأمسكت به واصطحبته — مجندلا — الى غرفتها .

ولما تقابل كل من السيد (د) والسيد (م) أمام باب السيدة (هـ) قال كل منهما فى نفسه « لم يعد غير واحد ، لقد خف الصراع كثيرا » ، إلا أن السيد (م) استبشع أن تؤول أموال السيدة (هـ) لغيره فأخرج غدارته واردى السيد (د) قتيلا .

صرخت السيدة (هـ) بوصيفاتها « اتين بالبوليس .. » فسارعت الوصيفتان الخاليتان وجاءتا بالبوليس . وإذ يكبلون السيد (م) ويغورون به جذب انتباه الضابط (ج) روعة الرياش وفحشه فغمز للسيدة (هـ) ودعاها للتريض معه وقتما تشـاء .

هو الخادم والطاهى والمُربى والسائق والبواب . ينظف الموكيت والثريات . يرفع الملاءات ويرتب أسرَّة الأم والجد والأولاد . يتسوق ويطهو ويرتب المائدة . يُفرغ صندوق البريد ويشذب أشجار الحديقة ويضع الزهور فى فازات المكتب والصالون والأنتريه . يأتيه البكرى ليخفى لديه المجلات الفاضحة ، وتجوس الصغيرة فى حجرته باحثة عما اخفاه أخوها . وحينما يهدأ كل شيء ، وتصمت كل الأصوات عدا أصوات صراصير وجنادب الحديقة يرن الجرس فى حجرته ، تلك الرنة الخافتة القصيرة ، فيصعد إلى غرفة الأم التى تنتظره فى سريرها وبجوارها شريط منع الحمل .



عن الزنابق كانت تحدثنى وعن زهور المرجريت والداليا والبانسيه ، وكنت أحب هذا فيها وكنت استمع اليها فى بشغف وأدارى فقر معلوماتى فى هذه الناحية .. وكانت تأتينى بزهور بديعة وتقول هذا نرجس وهذه زهور الباذلاء وتلك النضرة ياسمين هندى .. أنظر كم هى بسيطة ومستكينة زهرات السوسن .. وكنت أتناولها منها وأشمها بنهم وأسبل جفونى .. وللحقيقة فاننى كنت أغالى قليلا فى إبداء مشاعر الهيام بأريج ما تعرضه أمامى من زهور وكنت أخشى أن يفتضح أمرى ، لذا كنت أجاهد حتى لاتبدو تصرفاتى مبالغا فيها ..

وكانت تقول لى الصالون هو أفضل مكان لهذه الزهور ..

وهذه الزهور مكانها حجرة السفرة .. وهذا النبات يوضع فى مداخل البيوت .. وهذه الزهرات الرقيقة تنسق فى فازة صغيرة وتوضع فى الحمام .. أما الفراندة فيمكنك أن تضع فيها هذه

أو هذه أو هذه .. وكنت استمع اليها وأبتسم .. وغالبا ما كنت استحضر فى مثل هذه المرات صورة الفيلا التى تقيم فيها والتراس المزدحم بكل أنواع النباتات .

ويوم جاءتنى بتلك الباقة من الزهور المتنوعة وقالت « خذها هدية منى » حرتُ ماذا أقول لها لكنها ضحكت ودفعتها نحو صدرى « أُنظر كم هى مبهجة ونضرة .. خذها منى .. خذ » .

وأخذتها منها .. من طريقة تنسيقها وألوانها البديعة أيقنت أنها رسالة من نوع خاص .. هنأت نفسى وقلت « إن الطريق إلى قلبها بدأ يُفرش بالزهور » .

فى البيت لطمت أمى خديها وصكت صدرها و لم تقدر على الكلام لمدة دقائق بعدها انطلقت تصرخ وتولول : الولد جُن الولد جُن .. الولد جُن الولد جُن .

ولما كنت أخشى ان يتجمع الجيران وأنا لاأعرف لذلك سببا فقد وضعت يدى على فمها وسحبتها للداخل قليلا فأزاحت يدى وصرخت فى وجهى : يا مجنون .. يامجنون.. بدلا من أن تشترى حزمة ورد ، بر اختك واشتر لها كيلو تين .

نظرت إلى أختى النائمة أسفل الحائط وطمأنت أمى وأفهمتها أنها هدية من انسان عزيز وأخذتُ أُضاحكها حتى انصرفت متوترة إلى شئونها .. بعدها استبدلت ثيابى ، وارتميت على الصحارة ، ثم فضضت الباقة ، وانهمكت فى فك غوامض لغة الزهور وألوانها ، حتى بدأت أشعر بثقل فى رأسى، فوضعت الباقة على المقعد الذى اضع غليه كتبى ونمت وأنا أفكر فى الزهور والفيلا والتراس .

عندما تيقظت فى الصباح لم أجدها على المقعد .. وكانت أختى جالسة حيث كانت تنام ..

سألتها : أين الزهور ؟

فمدت ذراعيها وثنتهما لتحمى وجهها من ضرب محتمل . صرخت : « أين الزهور ؟ » .. ولم أكن فى حاجة لأى اجابة فقد عرفت من لون شفتيها أنها أكلتها .



كابـــــات

.. حطام البناية الضخمة
.. ســـخافات
.. كــابات
.. الضابط الكبير
.. الشـــواخـــص
.. أهمية أن ننهى ما بدأناه

كانت الطائرات قد غادرت سماء المدينة فخرجت من مخبئى وهرولت فى الطرقات إلى أن دخلت ذلك الطريق فرأيته .. كعود القش كان .. تغضنات وجهه النحيل تشى بما عركها من تجارب السنين .. ثمانون أو اكثر .. كان يتكىء بذقنه على راحتيه متأملا أشياء لاترى ، ومن خلفه ركام البناية ، تلك التى كانت بناية .. شدتنى ضخامة الحطام بالقياس إلى ضآلة الرجل .. قلت له : انهض وتعالى معى .. فنهض ومشى معى .. وسمعت طقطقات العصا التى كان يتكىء عليها فأخذت أبحث فى حطام الدور المتهدمة عن عصا أصلح .. عندما عثرت عليها وجدته قد استدار وعا د الى ركام البناية الضخمة ، وعلى ذات الكتلة الخرسانية جلس ، واتكأ بذقنه على راحتيه ، وأخذ يتأمل ذات الاشياءالتى لاترى .



كانت الحرب قد انتهت .. وكانت المدمرات قد ضربت الشاطىء .. وكنتُ أذهب وأنظر للحفر وحطام الكبائن .. تستهوينى رؤية مخلفات الطوربيدات والقذائف البحرية إذ تختلط بالرمل والقواقع والاخشاب المتفحمة .. وكنت أجلس هناك ، على حافة تلك الحفرة ، أنظر للنورس والموج وعوائق البرمائيات واتابعهم وهم يأتون .. فرادى وجماعات كانوا يأتون .. أيديهم شديدة التفحم وأرجلهم أيضا .. هذا يعنى أنهم جاءوا فى الصباح وبالأمس وقبل الأمس .. كانوا ينتشرون مثل سرطانات البحر ويأخذون فى نزع كل ما هو مفيد .. ينزعونه ويحملونه ويعودون به إلى المدينة المحطمة .. وحينا عرفتُ أنهم يذهبون إلى تاجر الخردة الذى يتمركز فى إحدى الخرابات .. وأنه يضاحكهم ويأخذها منهم وينقدهم ما يأكلون به .. انضممت اليهم من فورى ولم أعد إلى ما كنت أفعل من سخافات .



تقاطــرت عربــات الجيب والعربـــات ذوات البيارق ..هبطت البذلات الكاكية بما عليها من كابات . اصطفت أقدام وتصلبت أجسام وارتفعت أذرع وانثنت .. عُلقت الكابات على المشاجب وأُقفلت الأبواب .. تحلقت البذلات المنضدة الكبيرة التى تعلوها خريطة مجسمة لجبال وصحارى وبحار .. امتد مؤشر .. قالوا : التشكيلان«ا» ، «ب» فى المقدمة .. التشكيل «ج» فى المؤخرة .. التشكيل «د» يتمركز قريبا من التشكيل «ج» .. هنا .. وهنا وهنا وحدات الاشارة .. وحدات « رعد » و « برق » فى الجناحين .. وحدات « مطر » فى القلب .. التغطية الجوية لازمة هنا .. وهنا .. وهنا أيضا .. يتم إبرار جوى للسيطرة على هذا الجبل.. وهذا الجبل .. وهذه المساحة من الصحراء يقوم المهندسون بتأمينها من الألغام .. تأمين خطوط الإمداد مهمة الوحدة «س» .. الوحدة «ص» تُؤمن هذا المعبر .. وهذا المعبر للوحدة «ع» .. ونحن .. نحن .. آه .. نحن نتمركز فى هذه النقطة عند البحر .. هنا .. فهنا مصيف طيب .



نكرهه . وهو يقسو علينا . يأمرنا بحفر حفر لالزوم لها ، ويزبد اذا رأى التباب التى نصنعها بأيدينا أقل ارتفاعا مما يطلب .

يمشى وسط الخنادق بكابه الأحمر ، ويُسمرنا « بشدة » الميدان لساعات طويلة . صغار الضباط الذين ألفناهم وألفونا يقولون أنه بطل كبير ، وأنه أحرز عدة انتصارات فى الخطوط الأمامية ، وأنهم أسلموه زمام كتيبتنا ليحقق بها أحد انتصاراته .

يفتش على أظافرنا ، ويتأكد بنفسه من أن لحانا محلوقة ، ورؤسنا مجزوزة ، ويأمرنا بتسوية مؤخرة الكتيبة بمشمعات الفرش ، وينبه علينا ــ ضباطا وجنودا ــ بضرورة أن تكون أفرولاتنا مكوية ، وبنادقنا ومدافعنا نظيفة . يمر على السناكى سونكياً سونكياً ويدس فى ثناياها أعواد الكبريت المقصوفة ليرى مدى ما تحتويه من أوساخ . وفى الصباح ، كل صباح ، يمر على فرشنا ليتأكد من أنها مطوية بعناية ، ويتمم على أزرة الأفرولات وأربطة الأحذية ، ويهتاج اذا ما رأى ثقباً فى شباك التمويه ، أو خوذة بدون أوراق الشجر . ينهانا عن التغوط فى

الخلاء ، ويأمرنا بأن نحمل خرائنا بأيدينا ونلقى به فى البعيد . فنكظم غيظنا ، وننظر الى الضباط ، ونفعل ما يريد . نلبد وراء التباب ونسحب خوذاتنا نحو اعيننا ونرقبه وهو يشخط فى الضباط ، ويأمرهم بالجرى والزحف فى طوابير الذنب التى يشرف عليها بنفسه ، فيجرون ويزحفون .

تحول هنيدى عن سرقة (التعيين) إلى نزع الأزرة وبيعها لنا . أُغمى على فهمى لما شده اليه من ياقته وأزاح خوذته وسلط عينيه على ذؤابات شعره التى طالت . أحال ضابطين إلى مجلس عسكرى ، وحبس اكثر من ثلاثة أرباعنا .

ننظر الى كابه الاحمر وانعقاد ذراعيه خلف ظهره ونلعن اليوم الذى رآيناه فيه .

وحينما طار الملازم حمدى فوق رؤسنا فجر ذلك اليوم وأخذ يستحث الكتيبة للقاء القائد خلف التبة الجنوبية ، تمكنا — بحكم الاعتياد والخوف من بطشة القائد — من الاصطفاف خلف قواد السرايا والفصائل فى دقائق . وفى دقائق تخطت طوابيرنا التبة وبدون أن يأمرنا أحد بالتوقف توقفنا وتوقف الضباط ، ومن تحت خوذتنا رحنا نحملق فى القائد وقد سحب سرواله وتقرفص عارى الفخذين باتجاه التبة يتغوط .

كالقطيع نركض تحت الشمس اللاهبة . فى أرديتنا وأحذيتنا الواسعة نخب . تشير العصى فننحدر يمينا . تتحرك فنلتف يسارا . يلقون بنا فى البالوعات . يخوضون بنا المجارى الطافحة يأمروننا بالانبطاح فننبطح . بالزحف فنزحف . يصم الرصاص آذاننا . يبرقش الأرض من حولنا . ويل للرأس التى ترتفع . ويل للمؤخرة التى تعلو . حمدى طارت أذنه . يُسرى بُتر كاحله . وعيسى تهشمت اسنانه وتهتكت شفتاه .

لاتسألونا عما أوجدنا هنا ، ما كان قد كان ، حمدى ما زال يشم رائحة إحتراق اللحم فى بيته ، ومعرفة الحصان المشتعلة تومض فى عينى عيسى ، وسمير الذى ماتت قصائده ماتزال تؤرقه — ومنذ البداية — مخايل البطولة ، وأنا محاصر ما أزال ببيوتات مدينتى التى هجروا أهلها .

يجبروننا على خلع احذيتنا والجرى فوق الاشواك . « أولاد الكلب يصرون على قتلنا » . يغمغم حمدى من تحت أضراسه. كومة الشاش اتسخت على جانبى وجهه . سمير يفرغ جوفه ويصرخ : « لسنا خرافا ، لسنا نعاجا » . تنتفخ

أوردة عيسى ويطيح بأشيائه وبذراعيه ثم ينهار ونعبر فوقه ونتقافز من فوق الحفر . نتسلق الحواجز . نصرخ . « اصرخ » . نصرخ . « اصرخ » . نصرخ . « اصرخ » . نصرخ . نصرخ . نصرخ ..

من الجوع نصطاد الثعابين والفئران . نسلخها ونمضغ لحومها ، نيئة ، مرتعشة ، ودافئة . هكذا قضوا . نجوس بحثا عن كسر الخبز المدفونة فى الرمال . نتقافز خلف الجراد والسحالى . ننهش الأرض بأظافرنا بحثا عن الجذور .. أى جذور .. يسكبون الماء فنلعقه ممزوجا بالتراب . يفردون البطاطين فوق اكتافنا ويسمروننا فى الشمس . نبول فى سراويلنا . يفكون ويجمعون القطع المعدنية . يسبوننا ويتهكمون علينا : « يائْور ، ياغجر ، يا أولاد ستين فى سبعين » . ننام وقوفا . نتساقط . يرفعوننا من أقفيتنا ويلقون بنا فوق الالواح الخشبية .

وحينما أخذونا إلى منطقة التباب وقالوا : « هاكم الشواخص وهاكم الذخيرة والبنادق » ضجت مدينتى بالحركة ومسح حمدى أنفه وخرجت شهقة عيسى صهيلا ، فيما راح سمير ينشدنا ولأول مرة أشعاره .

قضت التكتيكات أن تنسحب فرق الجانبين فانسحبت ، ليجدا نفسيهما وجها لوجه ، منهكين متصالبين بكامل عتادهما وتفصل بينهما أكوام الجثث والأسلحة والمهمات والدروع .

أفاق أحدهما وفطن إلى أن حزام القنابل اليدوية مربوط الى وسطه لايزال فأخذ يُلقيها على الآخر الذى راح يلتقط القنابل المتناثرة بين الجثث ، ويبادله رمية برمية . فرغت القنابل فصوب كل منهما بندقيته نحو الآخر . دارا ولفا ، وزحفا وانبطحا ، واحتميا بالدروع والرمل والجثث وأطلقا الرصاص بالطريقة التى تعلماها والتى لم يتعلماها . سحب أحدهما مدفع هاون فيما التقط الآخر مدفع آر بى جى وتقاذفا بالدانات فتأرجحت الدروع وتطايرت الجثث . صعد أحدهما إلى رشاش مجنزرة ففاجأه الآخر بقاذف لهب . تراشقا بأصابع الديناميت المشتعلة وفوارغ الدانات والخوذات والأحذية وعلب الفاصوليا الفارغة . ولما فرغت كل الذخائر وطارت خوذتاهما وأصبحا عاريين إلا من جُرُوحهما ومزق الأفرولين ، انتزع كل منهما سونكيا والتحما ذراعا لذراع ، وطعنة لطعنة . تكسر

النصلان فقال أحدهما :

— انتظر حتى نستريح . لم نُصب ياأخى من حديد . نحن بشر .

فصرخ الآخر :

— لا .. لاتقترب .. ابق عندك ..

وأعاد ذراعه الى جانبه :

— أنا معك ، يجب ان نستريح

ثم ارتمى على شيكارة رمل :

— أنهكتنى.. إنك مقاتل محترف .

— وأنت أيضا .

وهدأت أنفسهما وترتبت .

— تؤلمك جروحك ؟

— جروح وحروق .

— وأنا أيضا . أوقف النزيف وغطه من الشمس .

— نحتاج إلى مطهرات ، يستحيل أن أجدها عندى .

— أو عندى .

وطفقا يتحدثان عن كل شىء .. عن الزوجة والأم والاولاد ، عن الحياة التى أصبحت لاتطاق وأكاذيب الراديو ونشرات التوجيه المعنوى وقساوة المدربين وحماقات الضباط

وشح الطعام وعطن الماء . واقتربا من بعضيهما أكثر ودفع أحدهما بقالب فولية إلى الآخر الذى رماه بقطعة شيكولاتة .

وعندما قال أحدهما أن أبنته الصغيرة تحب أن تعقص لها أمها شعرها وتضع فيه وردة حمراء .
هتف الآخر :

ـــ إنها إبنتى أنا التى تفعل ذلك .
ـــ تقصد أنها تفضل أن يكون شعرها معقوصا فى شكل كعكة مائلة وتضع فيها وردة حمراء ؟ .
ـــ نعم . وتحب أيضا أن يكون حذاؤها أحمر .
ـــ حذاؤها أحمر ؟ .. إنها ابنتى .. وهل تسرق من درج أمها زجاجة طلاء الأظافر فتوسخ نفسها ؟ .
ـــ أها .. وكم ضربتها أمها على هذه الفعلة .
ـــ كان يجب أن تضربها .. فاللون الأحمر كان يصيب البنت بالهوس .
ـــ هؤلاء الاطفال ، إننا لانذكرهم بغير أن نبتسم ، لماذا يفضلون اللون الأحمر ؟ .

ومات طيف الابتسامة وغامت عيناهما وهما ينظران إلى حمرة الدم وقد تجلط فوق جسديهما وغطى جزيرة الفوضى التى

يجلسان وسط حطامها . قال أحدهما :

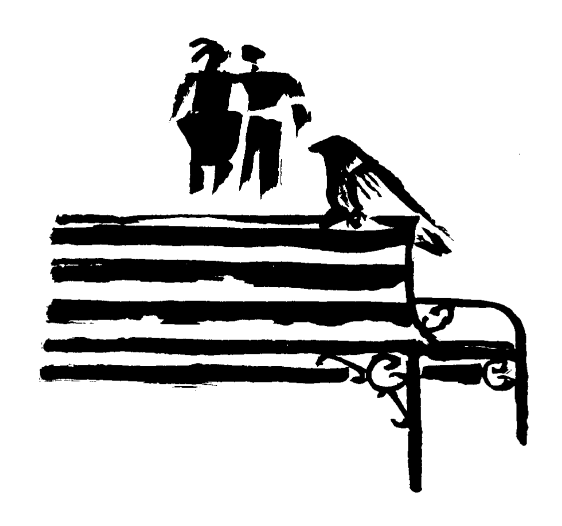
ـــ ها نحن قد استرحنا بما فيه الكفاية .

ـــ نعم .. نعم استرحنا بما فيه الكفاية وتحدثنا كما يتحدث الرجال .

ـــ هيا بنا ننهى ما بدأناه .

واستل خنجرا ، فالتقط الآخر خنجرا مماثلا وقال :

ـــ نعم .. نعم .. ما بدأناه يجب أن ينتهى .



الحصار النحاسى

.. قص ولزق
.. الحصار النحاسى
.. مناطحة
.. سلوك حكيم
.. الكونستابل
.. نباتات الأرصفة الهشة

مثل رسوم القص واللزق كانت تبدو أمامها البيوت الكثيرة والسماء والقمر .. قصت فى البيوت شبابيك .. الصقت فيها رؤوساً بنية .. وضعت فيها عيونا بيضاء .. دست فيها دبابيس سوداء .. إنها الآن تنظر إليها .. تنظر وتحدق « أبعدوا عيونكم عنى » .. هل تعرفون سرى ؟ .. لاتقولوا لأبى .. أبى يذبحنى لو عرف .. يذبحنى ويلقى بى فى البحر .. فى البحر أو فى مقالب القمامة .. أبعدوا عيونكم عنى .. أبعدوها وابعدوا ... ومدت يدها وهمت بإغلاق الشبابيك فهبط إليها القمر .. ابتسم فى مكر « أنا أيضا أعرف سرك .. وأبوك هو المغفل الوحيد »



المقاعد الخشبيةخالية .. يساقط عليها المطر وأضواء الصوديوم .. والمبانى فى البعيد لايبين منها سوى أفاريز الاسطح المغسولة .. وهو يمشى مسرعا بين الاشجار الجرداء والبرك النحاسية ، رافعا ياقة سترته وصحيفة المساء ، وعلى ظهره تتأرجح حقيبة ملابسه ..

وهناك .. بجوار تلك الأكمة ، حيث تواعدا؟ كانت تجلس إلى أشيائها .. ما أن رأته حتى نهضت اليه :

كنت أخشى ألا تأتى .

تلقف كفها بين راحتيه وانهمر عليه لثما .. كانا يرتعدان والماء يتناثر من شعريهما ، لكن أعينهما كانت تتقد من الانفعال .. هتف :

ـــ سيفوتنا القطار .

التقطت أشيائها وانتصبت :

ـــ لن يصلوا إلينا . قل أنهم لن يصلوا الينا .. قل ..

ضغط على كفها بعصبية وابتسم مطمئنا . وفيما يفرد صحيفته المبتلة فوق رأسيهما ويهمان بالمسير حطت يمامة على المقعد الذى غادراه .. نفضت ريشها وراحت ترنو تجاههما بينما استمر المطر والصوديوم فى التساقط نحاسيا ثقيلا يحاصرهما .

وجد نفسه خارج حدود المدينة .. الجبل أمامه نحاس معفر ، والرمال تتطاير فى صفير ، وكرات الصبار اليابس تتدحرج تجاهه ، وذلك الرئيس الملعون قد أهانه .. أهانه و لم يفعل أكثر من قضم شفتيه .. كوم اللحم والافواه المفتوحة .. الملعون ابن الملعونة .. لو ضربه وانهى كل شىء .. لو سحبه من رجليه والقاه من الشباك .. لو القى فى وجهه بالاستقالة .. لو .. لو .. وطفق يجرى بين كريات الصبار صوب الجبل .. سأريكم أنى أستطيع تحطيم أعتى الجبال .. سأريكم .. سأريكم وسترون ..

وعند السفح ، لم يجد صخراً يصلح لأن يخبط عليه رأسه .



رأيته .. رأيتها .. كان يمسك بقيادها .. وكانت تجرى لاتلوى على شيء .. تَجرى بتلك اللطخة الحمراء .. كنتُ المار الوحيد .. وكنتُ قد استبشعت اللطخة .. اخرجت قلمى والتقطتُ الرقم .. التقطتُه وعدوتُ إلى الحطام المهشم .. عند حدود البركة وقفتُ .. وقفت وقلت : لعله يقف على مبعدة .. لكنه لم يقف . لم يهتم ..

وسال الناس كالبصقات على الجدر والأسفلت .. مددت يدى لإبط أحدهم وسحبت الصحيفة ، الا انه استعادها بجفاء .. حدجنى بنظرة أفهمتنى أنها صحيفة المساء التى لم يفضها بعد .

لاك ذو الكاب إصبعَ اللبان وضربَ امرأةً على عجيزتها ثم اخرج نوتته وزفر : الحمقى يتساقطون بكثرة اليوم .

قلبتُ فيهم بصرى .. فى الحطام المهشم .. فى آخر الطريق .. ووجدتنى أمزق الورقة وانثر الأرقام .. بعدها ابتعدتُ عنهم .. ابتعدتُ ولم أبح بشىء .



انقطع المطر فجأة ، وفجأة أصبح الجو مشمساً حاراً . خرجت إلى الكورنيش وسرتُ متسكعاً بحذاء النهر ، حاملا دفتر أشعارى وطموحات زوجتى وهموم أبنائى .

أرهقت التماعات الشمس على الصفحة المرمدة عينىّ فأدرتهما إلى العشب الطرى . شدنى البخار المتصاعد منه ، فتوقفتُ ، ورحتُ أرقب غيماتِه الشفيفة . فى حين هبط من الشجرة المبتلة سربٌ من العصافير شقشق وحط يبحث عن غذائه أمامى .

وفيما أتراجع عن مواجهة العصافير حتى لاأفزعها فتفر لمحت أسفل منى زهرة نجمية تدلت من إحدى وريقاتها قطرتا مطر فمالت وراحت تهتز وتلتمع .. خفق قلبى وهممتُ بالانحناء متأملا هذا البهاء ، غير أن تلك السيارة الصغيرة عوت وتماوجت ما بين ضفتى الأسفلت . رَفعتُ رأسى فرأيتُ من وراء الزجاج المقفل أذرعا ترتفع ورؤسا تهتز ، واندفع وجه

ومثلما حدث ذلك فجأة ، اعتدلت السيارة فجأة ، ومرقت من أمامى ، كنتُ قد نجحت فى التقاط الرقم فهرولت من فورى إلى الكونستابل المائل فوق دراجته البخارية عند الزاوية الظليلة ، رتبت أنفاسى ورفعت رأسه فتيقظ وحكيت له . قلبٌ الرقم بين أصابعه ومسحنى بعينين تعبتين وغمغم :

— يا حضرة ، نوبتجيتى تنتهى بعد عشر دقائق . اتركنى ، إلهى يعمر بيتك ، أعود لأولادى بلا منغصات .

نظرت إلى الشمس ، وإلى الورقة إذ ترف هابطة إلىّ صفحة النهر واحتضنت دفترى وتمنيت أن تعود فتمطر .

لإمرأة والتصق بالزجاج فانضغط الأنف وانضغطت الشفتان المفتوحتان باتساعهما والحاجبان والجبهة . كانت عيناها منقورتين ووجهها مفلطحا فيما تشنجت قبضة حول خصلة من شعرها وراحت تشد الرأس إلى الوراء .

كانت فى حجم النباتات الهشة التى تنمو بين بلاطات الأرصفة .. قالت لها إحدى الجارات ذلك .. وكانت تغلف كلامها بمكر تستشعره يخترق جلدها « صحيح قد تقاسى من الأقدام والمكانس ومياه الأمطار ، إلا أنها فى كل مرة ترتعش وتنمو » .. ولأنها لم تكن تعرف ما هى هذه النباتات ، ولا كيف تنمو ، ولم يكن فى بالها أيضا شيء مما يمكن ان تعقب به ، فقد كانت تتدثر بالصمت والكنزة الصوفية وتشد أطراف الروب وتنهمك كعاداتها بالنظر إلى أصابعها التى لاتعرف غير إبرتى التريكو .

وكنت تراها منحنية فى اتجاه كرة الصوف أو مائلة فى اتجاه جاراتها اللائى يثرثرن بأخبار البيوت ، ويشهدن لها بأنها الوحيدة التى تنهى القطعة مهما كبرت فى اسبوع وأحيانا فى أربعة او خمس أيام .. وكان يشدها من ثرثراتهن ما يتحدثن به عن السيدات اللائى تتراقص صورهن على شاشة الصندوق العجيب الذى يسمونه بالتليفزيون .

كانت تميل وتحتضن بمسامها كل كلمة تقال ، بعدها تشد عليها كنزتها وتحكم من دثار الصمت وتعيد إلى ابرتى التريكو سرعتهما وهى تعجب لهاتيك النسوة اللائى يعرفن كل شيء .

وكن بالفعل يعرفن الكثير ، ويعرفن أن صبى الجزار يريد أن يتزوجها ، وأن الخاطبة تريدها لمدرس أرمل عنده عربة وولدين .. أما هى فكانت تعرف أن الضابط يريدها اسما بضيفه إلى قائمة محظياته ، وأن الطالب يريدها مادة لأشعاره غير المفهومة .. وهى كانت تخشاهم وتصمت ، فهى لاتعرف غير جاراتها وابرتى التريكو وأحاديث التليفزيون .. وكانت صاحبة العمارة تلح فى طلب الايجار ، وكان الضابط يعرف هذا فكان يلح فى عرض النقود ، وكان المطر يسقط دائما من ثقب فى السقف ، وكانوايأتونها دائما برؤوس الاولاد المملؤة بالخراريج .. تفعصها وتخرج أم القيح وتضمدها ولايعطونها شيئا .. يقولون أنها تشعر بالرضا بخدمتها للناس .

زهقت وقالت : اشتغل فى المشغل فيعطوننى راتبا أسد به فم صاحبة البيت ، أما فمى فله ما يفيض .

غير انها لم تتحمل ضجة الماكينات ووقاحة رؤساء

الورديات .. وحينما اقترب منها ذلك السافل ومس كفها بكفه فى زحمة الاتوبيس اشتعل وجهها وغامت عيناها وغطاها العرق وبلل أرديتها .

إلا أن صاحبة البيت تريد الايجار ، وعربة الضابط تزحف ورائها أينما ذهبت ، وصراخ الاولاد يصدم رأسها وابرتى التريكو لاتصلحان الا لفقء العيون .. وذات يوم ضحكت لنفسها وللجيران ومن غير إيحاء او إلحاح من أحد ، وبكامل الوعى والإدراك توقفت واستدارت تجاه اول معاكس وقالت :

— ثمنى غال .

واسفل منها كانت نباتات الارصفة الهشة تهتز لريح خفيفـــــة .





نهاية المطاف

.. عتبات الخوف

.. الطفل

.. نهاية المطاف

.. اللعبة الاخيرة

نحن خائفون جداً .. بابا كان قد اشترى لنا سيارة لكن ماما باعتها .. والناس أصبحوا ينظرون إلينا نظرات مرعبة ، لانفهم معناها ، لكنها مرعبة .. سهام كانت تقول لى لماذا ينظرون الينا هكذا ؟ وسامية كانت تلوى شفتيها بلا مبالاة أعلم تماما إنها مصطنعة ..أما هشام فكان يلتفت من فوره ويأخذ فى لكم وركل الأشياء .. كنت ألحظ هذا وكنت أبكى .. أبكى وامسح دموعى فى كبرياء واختال وسط زميلات الكلية والنادى .. ولحظة اكتشافنا اختفاء الفيديو من البيت ، هو والستريو وتلك الأشياء التى كان يبهرنا بها بابا لم نقدر على السكوت .. صوبنا عيوننا على ماما التى رمشت قليلا وارتعش أنفها الا أنها — وبجهد أسطورى — تمالكت وزمت شفتيها وواجهتنا :

— أبوكم كان قد تورط وأرغموه على كتابة كمبيالات .

احتضنت سامية صورة بابا بعنف لدرجة تكرمش معها شريط الحداد ، بينما ارتمينا أنا وسهام على صدر ماما وأخذنا نقبلها

ونواسيها وهى تربت علينا وتقول كلاما كثيرا عن الملابس والمدارس والوحوش والغابات واللحم السهل واللحم المر ، وسالت دموعها فى صمت انقلب إلى هدير من البكاء والصراخ وأخذت ترغى بكلام لانفهمه ثم فاجأتنا بأن خطفت صورة بابا من سامية وقذفت بها إلى الأرض وأخذت تهشمها بقدميها ولما لم يعد هناك زجاج على الاطلاق انحنت إلى صورة بابا ورفعتها إلى وجهها ثم مزقتها بغل وضراوة ونحن ننظر إليها فى خوف .

افرحى يا هناء ، أنت حبلى .. آن لك تفرحى فافرحى وغنى واعكفى على إبرتيك وانسجى الجورب الصوف الصغير .. وانسجى الطاقية .. بالخيوط الحمراء والبيضاء .. الصفراء والخضراء .. الزرقاء والبنفسجى والسماوى وكل لون بهيج .. زينيها بالزهور وانثرى الأشياء الجميلة من حولك فأنت حُبلى .. ياه .. حُبلى .. أسمعينا أناشيد البشارة .. فأنت تملكين الآن ذلك الشىء الرائع .. نعومة المخمل إذ يتماوج فى داخلك .. يتكور فى الجنبين وفى العمق ويضرب لأسفل .. يضرب فتتأوهين وتنظرين إلى ذلك البروز الضعيف الذى يشد الجلد فى وهن ويهرب لأقل لمسة .. أنتِ حبلى .. حبلى .. وسيأتيك ذلك الناعم الرقيق بشفتيه الورديتين وعينيه البريئتين .. ينظر اليكِ ويضرب بأصابعه الصغيرة فى الهواء ويتشبث بثدييك ويلتهم الحلمة .. أنتِ حُبلى ياهناء فافرحى ولاتكونى واحدة من هاتيك المتوحشات اللائى لايُرضعن

أطفالهن .. دعيه يمتص كل قطرة حياة فيك .. أذيبى كل ما بجسمك وأرضعيه له حليبا دافئا طيبا .. عطرى حمَّامه واطعميه نفسك وحاذرى عليه من نزلات الشتاء ونزلات الصيف .. ياه .. أنتِ حُبلى فافرحى .. أعدى فراشه من الان وزوقيه بالدانتيلا وازحميه بالعرائس والدمى الكبيرة .. هدهديه بأرق الأغنيات وارقبى أسنانه اللبنية واحتضنيه ونامى معه والعبى وارقصى وارفعيه عاليا ودعيه يسقط عليك .. يُمسك برقبتكِ ويضغط نهديك .. يطرحك أرضا ويلتصق بك .. يمد كفيه النحيلتين ويداعب بطنك و ... ييه .. لقد جاء الطبيب .. تعرفين ما سيقوله .. سيبش فى وجهك ويمط شفتيه بتلك الطريقة الأسيانة ثم ينظر إلى الصحفيين ويبتسم « انظروا أيضا إلى هذه الحالة .. نتركها على ما هى عليه أم نُجرى عليها تجارب الأنابيب ؟ » .

تكاثفت الرعود والبروق والسيول وانهمرت فوق فقفزت من فراشى مفزوعا وسددت أذنى باصبعين وطفت بعينى أفتش فيما حولى ملتاثا وباحثا عن ذلك الذى ربما دخل وتخفى . وهجست « لعله هو » .. « لقد وعدنى كثيرا وأخلفنى وأخلفته » .. « ربما اختار هذه الليلة ولم يخبرنى » .. وارتعدت .. « أتراني حقا وهو الليلة على ميعاد ؟ » .. « هذا القذر كثير اللاعيب » .. وقفز شيء إلى حلقى ، إنه قلبى ، فاندفعت إلى زر النور واضأت المكان وعببت من دورق المياه وخبطت على صدرى حتى أرجعته ثم اندفعت صوب النافذة . فتحتها فإذا بالسكون التام يكمم القمر ويوثق أغصان الاشجار . « من فعل هذا ؟ » .. « إنه هو » .. « لاشك هو » .. « لعله يتربص بمكان ما بالشارع » .. « ربما تخطى سور الحديقة » .. « ربما يقبع أسفل النافذة » .. وأقفلت النافذة وشددت الستائر فعاد العزيف المرعب . تلفت إلى الساعة الخرساء وارتميت على فراشى .. « أتكون هذه هى النهاية ؟ » .. وحاولت جس نبضى فلم أعثر عليه فى معصمى . فتشت عنه فى رقبتى وفوق أذنى وفى العرقوبين وإلى

يسار صدرى ، وكلما لمست مكانا من جسمى وجدته باردا مبللا بالعرق .

أخفيت رأسى تحت الوسادة وأغمضت عينى وتقلبت وضغط على الوسادة أسد بها أذنى « أقاوم أم استسلم ؟ » .. أحسست بهفيف أجنحة الفراشات فجمدت « هو ؟ » .. « لاشك انه هو » .. « من غيره يستطيع التخفى فى أجنحة الفراشات ؟ » .. وضغطت أجفانى وأحكمت من ضغط الوسادة على رأسى فيما أخذت أنفاسى تتلاحق وفرائصى ترتعد .

لم تمسسنى الفراشات . لم يحدث شىء ، فأزحت الوسادة قليلا وأرخيت من انضغاطة أجفانى ، غير أننى أعدتها بسرعة فقد كانت الغرفة مزدحمة بالفعل .

تطامنت لنفسى وقلت « لعلها الهواجس فقط » وزررت عينى وتفرست بهدوء فى تلك الهواجس التى تزحم الغرفة . كانت صورا شبحية تصطف بعرض النافذة المغلقة . ميزت فيها أشباح التجار الخمسة الذين أفلستهم ، والضابط الذى رشوته وأبلغت عنه ففصلوه ، ومساعدى الذى فاجأنى فى فراشه فانتحر ، والمرأة التى ماتت فى ماخور بعد ما طردتها من نعيمى .

« هكذا اذن » ، وفغرت فمى لما حانت منى نظرة إلى المرآة ورأيت ذلك العنكبوت قد أحبك خيوطه فوق صلعتى وأخذ فى الهبوط باتجاه أنفى . أقصيته بعنف وأخذت مهووسا أهز رأسى وبكلتا يدى رحت أنزع الخيوط فتلتصق بأصبعى وتمتط « إذا كان المقصود إنتزاع ندمى فلن اندم » ورأيت طاقم أسنانى يتحرك فى الكوب فأطحت به . وإذا بالنجفة تهتز ، وحبات الكريستال تصطك ببعضها البعض واللمبات تنطفىء وتومض .

وفيما أدير بصرى بين الحصان الخزفى الذى صهل والضفدعة النحاسية التى ساطت العنكبوت بلسانها والتقطته ، رفعت الوطاويط أجنحتها ورفرفت بقوة وأزت وطنت وماجت بعرض الغرفة وطولها فأقعت كلاب الأباجورة ورمح الحصان ووثبت الضفدعة واختفت تحت السجادة فيما احتميت بذراعى ورحت أتابع واجفا حركاتها الهوجاء .

صحتُ « فهمت كل شىء .. فهمت كل شىء » ، جاوبتنى القهقهات الساخرة المكتومة من داخلها . هتفت « هذه الخدعة لن تنطلى علىّ » . ولما لم يخرج أى منها فقد التقطت أسنانى ووضعتها بين فكىّ وصحت مجلجلا « أخرجى .. أخرجى » واتكأت على عصاى ووقفت منتظرا ما عساه أن يحدث .

لم أعد الآن فى حاجة إلى شىء ، لم أعد فى مقتبل الشباب .. إن ذهبت إليها و لم أجدها فإننى لاأغضب .. وإن رأيت ذلك الفتى المتأنق يشد من سترته وينحنى تجاه هفهفات الحرير الذى يؤطرها فاننى أبتسم .. ها هو السكون يحكم نسيجه الآن من حولى وثمة شىء يلقى بى فوق مقاعد الأرصفة ويدفعنى لتأمل الحشرات الصغيرة إذ تتسلق حذائى .. إنهم ينتشرون من حولى .. وجوهم بالرغم من أقنعة الاحترام تشى بما يعتمل فى دواخلهم .. فى الممرات والحجرات وعلى مناضد الاجتماعات .. فى الورش والمكاتب ومنافذ التوزيع . فى مطبخ الفيلا والحديقة .. حتى البوابين .. إنهم لاينتظرون اللحظة وانما يستعجلون قدومها .. أعرف سر هذا التأجج فى داخلى .. اننى اتمنى لو دمرتهم جميعا .. لو أحرقت كل شىء .. أفنيت كل شىء .. لماذا أنا مستسلم لتلك الدعة المقيتة التى تلقينى على مقاعد الأرصفة ؟ .. لم تعد تضجرنى تقلبات السوق ..

واسعار البورصة فقدت جاذبيتها .. السماسرة يطرقون بابى
ويطلبون منى ان أبيع .. لن أبيع .. ومجلة رجال الأعمال
مطوية دائما داخل معطفى .. تلتصق بها فواتير الهدايا التى
أرسلت بها اليها .. إنها الوحيدة التى لاتبالغ فى إبداء اهتمامها
بى . ولأنها تعلم أننى لااملك سوى عبث الاصابع فإنها
لاتتمرد .. سأذهب اليها اليوم .. سأقول لها أن راتبها سيأتيها ،
كالعادة ، كل شهر ، وأن دورى وإن كان قد انتهى فاننى
سأواظب على علاقتى بها .. واننى مستعد — إن شاءت —
لأن آتيها بذلك الفتى المتأنق الذى يشد سترته كلما رآها .





البوابة الضخمة

.. نهر
.. عادات طيبة
.. انتظار
.. البوابة الضخمة

النهر ينساب أمامه رصاصيا رقراقا .. يُربِّتُ عليه برفق .. يمشطه بأصابع كفيه .. يود لو يعانقه .. حضنا لحضن .. تلسعه برودة الماء فيرفع أصابعه .. هذا النهر البارد .. ينظر للقطرات المساقطة منها .. يتذكر لحظة التصاقهما تحت المظلة .. حبات المطر تسقط ناضجة ، والليل مهتوك بالصراخ وهرولات الجند ومصابيح عربات الشرطة وأبخرة القنابل والدم .

قالت : مساكين .

قال : نعم .. إنهم يتعبون كثيرا هذه الايام .

قالت : من تقصد ؟

قال : الشرطة .

فنظرت إليه وهرولت إلى صفوف المتظاهرين ورآها وسط الأضواء والأمطار والهراوات والأدخنة ..

كانت تضرب ذوى الخوذات بمظلتها وامتزجت بما حولها من أشياء ، ومن لحظتها لم يعد يراها .. وها هو النهر ينساب من أمامه رصاصيا رقراقا .. وباردا .

اعتاد قراءة الصحف اليومية ، واعتاد الصمت مع رئيسه ، ومع الصراف اعتاد الابتسام ، وبعد أن يدفع اعتاد الباعة سماع تمتماته الشاكرة ، وفى البيت اعتاد أن يلفظ فى هدوء مالا يعجبه من طهو زوجته ، واعتاد الوقوف أمام الشرطة بالاحترام الواجب ، وإن تصادف أن زاحمه أحدهم فى الطريق فلا يبدر منه أكثر مما اعتاد عليه ، يُفسح له بأدب ويقدمه على نفسه .

غير أنه حينما أُحصر فى عتمة الزقاق ونال منه هؤلاء الشواذ مآربهم ، تفجر بالغيظ منهم ، ومن العالم ، ومن نفسه ، لكنه عاد وصفا نفسا ، فقد اعتاد كل ما هو طيب .



اطفئت مصابيح المقهى فسقطت العتمة وحاصرت ضوء المصباح الوحيد بالشارع .

يتثاءب الساقى بين مقاعده المقلوبة ، ويشعل المخبر الملفوف فى معطفه وملفحته لفافته ..

وأنا فى النافذة اجلسْ منتظرا قدومهم .. وعبر الدواليب مفتوحة الاضلاف تنظر إلى كتبى واجفة .. ابنى ينهنه فى فراشه ، وبيجامتى وغيارتى الداخلية فى الحقيبة الصغيرة .. أنتظرهم منذ بدأوا أعمالهم فى حماس ، لكنهم لم يحضروا للآن .. وللآن ما يزال المخبر يقف فى الظلام ملفوفا بمعطفه وملحفته ، وما زلت انتظر .



يندفعون من البوابة الضخمة ويهبطون الدرجات الحجرية إلى الطوار .. قد يرفعون ياقات معاطفهم .. قد يمشون على الاسفلت ، أو على الافريز ، لكنهم لايتخلون عن اندفاعهم ، ولايتبادلون النظر .. إنهم يعرفون هدفهم بالتحديد .. يتجهون اليه بقامات منتصبة وخطى سريعة .. تمرق أشباحهم على واجهات المحال وتنبعج على زجاج العربات الواقفة دون ان يلحظوها .. المهمة سهلة .. لاتحتاج لأساليب غير عادية .. حتى العربات لاداعى لها ، فهم يعلمون أنه ينتظرهم كالمعتاد .. سينظر إليهم ويسكت .. قد يستمهلهم ريثما ينظر للداخل ، وقد لايفعل ، لكنه بالتأكيد سيستسلم لهم ، ويمشى بينهم فى هدوء ، وسيصعد معهم الدرجات الحجرية ويتخطى البوابة الضخمة ويتجه بمفرده إلى مكانه المعهـود .





حدود الاستطاعة

.. رجل البناية المهجورة
.. فى المختبر
.. سوسنة
.. حدود الاستطاعة

سأقتله . أجمعنا على قتله وتطوعت .

أصبح خطرا علينا فاتخذنا القرار . ها أنذا أتربص به : محتميا بظلمة البناية المهجورة أقف .

أعطونى المسدس وقالوا على بركة الله ، ولن أخذلهم .

طلقة واحدة تكفى . لايستأهل ثمن رصاصتين . الرصاصة الواحدة تكلفنا الكثير . قلت لهم لاداعى للرصاص . نُحقره ونستخدم شيئا أدنى . كالصرصور لانسحقه بغير الحذاء . قالوا قد يتماوت بين النعل والكعب ثم يفر هاربا بحياته .

لن يفر . سأطلق الرصاص واتريث . لن أهرب فى الحال . سأغتنم لذة الدنو منه وأتملى من حمرة الدم إذ تغرقه .

الخطة ألا أرجع اليهم ، إلى الوكر سأذهب . إن وقعت فى أيدى الشرطة فأقراص السيانيد فى جيبى . إن نجوت فلن أظهر حتى تأتينى التعليمات . الصحف ستقوم بالواجب وسيعلم الجميع خطر الوقوف ضد جماعتنا .

أفِق ، إنك تنتحر . تُعميك متعة السير إثر قادة القطيع .
تُهطع رأسك وتمشى فى زحمة الخراف الذاهلة باتجاه المذبح .
إلى فَنائك أنتَ تمشى ، وما ظلمة هذه البناية إلا بداية الظلمة
الأبدية . هاهى الأضواء الشحيحة تأخذ فى الاختفاء من وراء
مصاريع النوافذ المُغلقة . نام الناس وهجعت الطرقات والأبنية
وأنت الوحيد المتيقظ . ربما كان هناك شرطى يلبد فى مكان
ما وينتظرك . ربما حف بك بعض السابلة . ربما تعثر بك أحد
السكارى .. لايبدو عليك القلق .. أى برود ؟ .. أصبحت
مجرد أداة صدئة بيد جماعة تستعبدك . لعل عقلا آخر فوق
عقلك وفوق عقول زملائك هو الذى رسم تفاصيل ما سوف
تفعله بعد لحظات ، إرم المسدس وواجههم بأنك لن تفعلها .

★★

بل سأفعلها وأفعلها وأفعلها . إنتبه . وقع أقدام . تسربل
بالظُلمة وتابع الشبح . ربما كان هو . ربما لم يكن هو . أيا
كان أخرج مسدسك واقبض على قرص السيانيد وكن
مستعدا .

ها أنذا أغلى وأفور وأخرج من بوتقتى وأندفع كالبخر فى أرجاء الغرفة فتتراجع عيونهم المضببة وأفواههم المفغورة ويلتصقون بالجدران وبزجاج النوافذ ، حيث تنفجر زخات المطر وتموت ومضات البرق على وجوههم الشاحبة . يتقدمون ويتحلقون المناضد المكدسة بأنابيب الاختبار والأحماض والميكروسكوبات . يقذفوننى بالجفنات والشرائح الزجاجية والصبغات والمزارع الميكروبية . ترتفع أياديهم بها فتتقاطع مع صور الخلايا السرطانية والأمخاخ الحيوانية المتأرجحة على الجدران . أراوغ وأناور والباب مغلق من الداخل وبعيد .

قلت : لايكفى أن نفسر العالم ..

ووثبت ..

وقلت : أنظروا لأنفسكم .. تحولتم إلى حراس لكل ماهو بال وقديم ..

وارتطم رأسى بأنبوب إختبار فصحت : لايكفى أن تكونوا أنقياء .

وتفاديت زجاجة فطالتنى جفنة .

زأرت : أنتم مجانين ..

فأمسكونى وأوسعونى ضرباً وركلا وكبلونى ليتقدم كبيرهم .

أدنى وجهه من وجهى وفح لصق عينى :

ـــ أصبحت منهم .. تركتنا وانضممت اليهم ..

وبصقت إحدى أسنانى وبادلته النظرة بنظرة فلطمنى وشد رأسى اليه :

ـــ لن تغير العالم .. لاأنت ، ولا نحن ، ولا من انضممت اليهم .

نفثت الدم النازف من أنفى وفمى فى وجهه فالتقط زجاجة حامض ونزع غطاءها :

ـــ تشويه وجهك سيجعلك تفيق .

كانت قطرات المطر ماتزال مستمرة فى إنفجاراتها المكتومة وتتسايل فى الخارج خيوطاً ضعيفة خائرة فيما التصقت فى ميلها المهوش صور الأمخاخ والخلايا السرطانية ، فتملصت من قبضاتهم ، ودفعت بعضهم ببعض ، وقفزت إلى مزلاج الباب ، واندفعت إلى الفناء ، فيما سمعت عواء الكى بالحامض يتقاطع وصوت ارتطام الزجاجة .

عرقلنى الواقف فى الخارج فكبوت ، إلا أننى تمالكت ونهضت مبلولا وطفقت أجرى .

بالقرب من البوابة توقفت ونظمت أنفاسى ومشيت مخفيا وجهى المكدم . ما أن تجاوزت الحرس الجامعى وأصبحت بالخارج حتى مسحتُ كفىّ بالسور ورحتُ أغذ السير متوجها أصدقائى الجدد ومسلما نفسى للمطر .

أطاروه من فوق الأكتاف وأردوه قتيلا . فى العشرين من عمره كان . انفجرت حافظة كتبه ، وانغرست نظارته الطبية فى كراسة أشعاره ، وتلاطمت أدخنة القنابل وخراطيم المياه ، فانقض زملاؤه وحملوه واقتحموا به العربات المشتعلة وصفوف الجند وضربات الرصاص والعصى المكهربة . كتبوا بدمه عبارات التنديد على الحوائط ورفعوه عاليا واخترقوا به الميادين والشوارع والحارات .

وحينما انفتحت مصاريع النوافذ وارتطمت بالحوائط فى جلبة واندفع صبية الزقاق ونسوته صوب الموكب الصاخب الذى انعطف لتوه من الشارع المائج بالرؤوس والقبضات الغاضبة ، كانت أمه منهمكة فى التقاط أعقاب السجائر من غرفته ، ولملمة جواربه ومناديله المتسخة . نفضت الأتربة من فوق التعويذة التى اهدتها له منذ العام ولم يتقلدها أبدا ، وعدّلت من وضع مصباح المكتب وتنهدت وهى تنظر إلى الفراش المهوش ، وكعادتها ، نقلت كتب التاريخ ونظارة

القراءة من فوق مسند السرير إلى الكومودينو ، غير أنها أحست هذه المرة بشيء يسقط . إنحنت لتلتقطه ، فاذا به زهرة سوسن ذابلة وصورة لفتاة . التقطتهما وتفرست فى الصورة وخمنت « إنها هى التى أسهدته حتى شف » ، « إنها هى التى ستأخذه منى » ، واقتربت من النافذة لتُملى عينيها من البنت ، فيما تعالت صيحات الغضب فى الخارج وارتج الباب بعنف .

تعالى يا حبيبتى .. اجلسى إلى جوارى .. التصقى بى وأريحى رأسك على صدرى .. ها هو أزيز الرصاص يقترب . كأنى أرى اندفاعات الفتيان واضطراب الشوارع .. سأخرج إليهم ولاتقاطعينى .. سأخرج لأنى لاأستطيع غير هذا .. واذا هدأت الأصوات وانتهى كل شىء ، ولم أعد ، أخرجى إلى العائدين واسأليهم .. فاذا أخبروك أنى سقطت صريعا برصاصة أو هرواة ، أو أنهم أركبونى واحدة من عرباتهم فلا تبكى ولاتفزعى الأولاد .. ولتقصى عليهم كل شىء ليعلموا أن أباهم سقط قريبا منهم ، فى الشوارع التى سيلعبون فيها .. سقط لأنك أخفقت فى تعويده على الإذعان .



قالوا عما نشر من أقاصيص هذه المجموعة :

د . عبد المنعم تليمة

... ويبرز ضرب صياغى آخر هو (الاقصوصة) التى تكاد تكون اليوم ـــ فى الآداب الأجنبية وفى الأدب العربى الراهن ـــ تكون نوعاً ادبياً قائماً برأسه يضيف الى الانواع النثرية القصصية جديدا . ويقدم قاسم مسعد عليوة نماذج موفقة من هذا الضرب الصياغى .

... وفى (لاشىء) هى تتأمل اللاشىء ، وهو وهى بينهما لاشىء ، فهو وجود واللا شىء وجود ، لكن بينهما الحس ، أما اللاشىء فهو الذى يشدها . وفى (أشياء) هو يحب أشياءه ، وهى تحب أشياءه ، ولما جاءها الآخر بأشياء قال أنها أشياؤها ، تركت الأول وأشياءه وراحت مع الثانى وأشيائها .

إن قاسم مسعد عليوة يمتلك فى هذه النماذج أدوات طيبة لصياغة الأقصوصة .

د . عبد الحميد ابراهيم

أقاصيص قاسم مسعد عليوه عبارة عن مقاطع صغيرة جداً ، مركزة وملفوفة وكأنها الخرقة تُلقى فى وجه المجتمع ، كل حكاية تكاد تكون مستقلة ، وكلها جميعا تتضافر على شيء واحد وهو روح الجشع والعنف والاستغلال من جانب وروح الاذعان والامتهان من الجانب المقابل .

ثم تأتى القصة الأخيرة وكأنها فصل الختام ، إنها تمثل النهاية التى تتحدى ولاتستجيب لشرور هذا العالم البرجوازى ، إن عنوانها (حدود الاستطاعة) ، إنه لايجد مفراً حين يسمع طلقات الرصاص فى الشارع ، من أن يخرج ويقاتل لأنه لايملك شيئاً سوى ذلك .

الحكايات قصيرة جداً ، ولكنها مضفورة بعناية وتعرف هدفها كطلقة المدفع ، انها تستخدم الطبيعة وترسم الجو وتستعين بوسائل الايحاء والتشويق والجمل القصيرة ذات الايقاع السريع ، يقول المقطوعة ثم يمضى ، ولكنها تسكن داخل القلب .

له واحدة بعنوان « هروب » من بضعة أسطر هى :

« نظرت الى البحر والغيمات وتتبعت القمر .. استدعيتُ صورتها إذ تزف الى مالك نصف دور الحى ثم أخرجت نايى ، ورحتُ أنفخ فيه ، وأذوب .. أذوب .. أذو .. أذ ... »

محسن الخياط

قرأت قصة الصديق قاسم مسعد عليوة « يوم الثعالب » وقد سعدت أولاً بإقدام الكاتب على النشر بالنادى [*] بالرغم من كونه واحداً من كتاب مصر الذين قدموا ـ ومازالوا ـ للأدب العربى الكثير من الأعمال ، ثم زادت سعادتى بقصته الرمزية التى تمتاز بميزتين فنيتين فهى مكثفة الى أقصى درجة ،وهى مع هذا التكثيف بسيطة الى أقصى درجة ، ومعنى هذا أن قاسم عليوة قد نجح فى تحقيق الجدل بين التكثيف والبساطة ليسفر هذا الجدل عن علاقة تشكيلية جديدة هى إحداث الدلالة العميقة للبناء القصصى .

نحن ـــ فى قصته يوم الثعالب ـــ مع طرفين متناقضين يدور بهما الحدث القصصى هما السيد (صاحب العمل) والمسود (العامل) وقد صحبتنا اللغة الرمزية الى دلالة أولى هى جنون (الطرف الأول) اتضحت فى ثانى جملة فى القصة (كانت لديهم عربات وخيول وسياط وبنادق .. وكانت لرب الأسرة هوايات غريبة) كما أوحت إلينا اللغة بطيبة قلب وشهامة عالية يتمتع بها الطرف الثانى ، (يبدو أننى تلقفت البندقية بطريقة لم تعجبه) كما أنه اكتفى بالقيام بدور التابع ، فلم يتوقف أمام طلب السيد له بالقيام ـــ فقط ـــ بحمل مايصطاده

من الثعالب ، حتى كانت اللحظة القصصية التى خرج فيها عن دور التابع ليس بأمر السيد هذه المرة ، بل إستغاثته :
« إلحقنى يامسعود .. إنقذنى يامسعود .. ضعت يامسعود »
تحركت إنسانية مسعود التى لم تتجمد بعد فانتزع الثعلبين اللذين يجتمعان على صدر سيده ومزقهما طعناً بسكينه . ،
هنا كان يجب أن تستيقظ إنسانية (الأول) ولكن كيف ؟ لقد تجمدت وإن لم تكن ماتت من زمن بعيد ، وكان طبيعياً أن تستيقظ فيه بعد نجاته على يد (الثانى) (الثعلبية) التى تتغلل فى دمه « ماذا فعلت ياغبى ؟ أجبت ببلاهة : قتلتهما !! صرخ : أعرف أنك قتلتهما .. لكنك قتلتهما بطريقة أتلفت فراءهما تماماً » .
إن ثعلبية الطرف (الأول) حكمت عليه أن ينسى موقف (الثانى) الايجابى الذى أنقذ حياته من الهلاك .. وقضت عليه أن يبقى ضد الانسانية ثعلباً ، جباناً شريراً .. وبهذه الدلالة الأخيرة نكون قد وصلنا الى العمق التشكيلى لبنية القصة حيث حملت لغتها الرامزة إشارات كثيفة عن محتواها .. خروجاً من الغموض والتكلف والحساسية المريضة ودخولاً الى عالم الفن الجميل .

عبدالعال الحمامصى

قد يبدو فى عناوين قصص الأديب قاسم مسعد عليوه إذا طبقناها على المحاور المتعددة التى دارت عليها أن هناك ثمة مفارقة فالذى تقدمه لنا هذه المحاور لايمت بصلة من المنظور الظاهرى الى عالم البرجوازية ، بل نراه على النقيض من عالمها تماماً .. حيث الاستلاب والقهر من جهة ومحاولة التحدى من جهة أخرى للأستحواذ على الحلم المشنوق دائماً .. ولكننا عندما نتجاوز هذا الظاهر نجد العنوان لصيقاً بالمشاهد أو الأقاصيص التى نقرأها . لأنها تقول اتساقاً مع العنوان وتأكيداً له بطريق غير مباشر أن هذا مايفرزه عالم البرجوازية .. وتلك محصلته ونتاجه وحصاده .. ورغم أن العنوان إنطوى على مباشرة سياسية إلا أن الكاتب-لأنه فنان أولاً يلتزم بشروط الفن — تجنب الزعيق ، ولم يقع فى براثن الفكاك المراوغة التى تجرف أمثال هذه التجارب فى تيار التقرير والمباشرة .. لقد ألقى بالمهمة على عاتق الفن وجعل إمكانياته هى التى تجسد الأوضاع وتشير الى خلفياتها بالدلالة الموحية لا بالدلالة المباشرة .

نشرت معظم أقاصيص هذه المجموعة فى الفترة بين أغسطس ١٩٨٤ وديسمبر ١٩٨٨ فى :

الثقافة الجديدة	القاهرة
أدب ونقد	القاهرة
مرآة الأمة	الكويت
الجمهورية	القاهرة
الأهالى	القاهرة
تبات ونبات	المنصورة
الرافعى	الغربية
صوت البرية	القاهرة

بالاضافة الى عدد من مطبوعات الماستر نذكر منها :

أقلام اسوانية	أسوان
رواد	دمياط
بورسعيد الثقافية	بورسعيد

للمؤلف :

انشودتان للحرب	مسرحيتـــــان	١٩٧٢	
الضحك	قصص قصيرة	١٩٨١	(نفد)
تنويعات بحريـــة	قصص قصيرة	١٩٨٢	(نفد)
تبــات ونبـــات	قصص قصيرة	١٩٨٨	(مع أخرين)
صوت البريـــــة	قصص قصيرة	١٩٨٨	(مع أخرين)
صخـرة التأمـــل	قصص قصيرة	١٩٨٩	

الفهـــرس

تصويب الأخطاء

نعتذر عن وقوع عدد من الأخطاء المطبعية التى لاتغيب عن قارئنا اللبيب منها :

رقم الصفحة	رقم السطر	الخطـأ	الصـواب
٧	٢	تعدذ	تَعُدُ
٧	٤	لهم	بهم
٢٥	٦	يجوس	ويجوس
٢٧	١	المرأة	المرآة
٢٧	٨	المرأة	المرآة
٣١	١٢	بدرية	بدربة
٣٦	١٧	وأمتدت	وامتدت
٤٠	١٣	ألتصقت	التصقت
٤١	٤	رود	الورود
٤١	٥	رسدها	رشدها
٤١	٩	بحنجرتها	من حنجرتها
٤٩	الأخير	كان	كانا

رقم الصفحة	رقم السطر	الخطأ	الصواب
٥٨	٣	يصدموا	يصطدموا
٥٨	٩	واردى	وأردى
٦٩	٥	للنورس	للنوارس
٧٧	١٧	وطعه	وطعنة
٩٣	١٣	أربعة أو خمس	أربعة أو خمسة
٩٤	١٧	بضيفه	بضيفه
١١١	١٣	والأدحنة	والأدخنة
١٢١	٢	:	.

بالاضافة إلى أن المكان الصحيح للسطور الخمسة الأخيرة فى الصفحة رقم ٤٦ هو أعلى نفس الصفحة ، وكذلك الأمر بالنسبة للسطور الأربعة الأخيرة فى الصفحة رقم ٩٢ .

المؤلف **دار المستقبل**

رقم الايداع بدار الكتب

٩١٤٢ ديسمبر ١٩٨٩

